جامعة القاهرة
كلية الآداب



المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

٤

يوليو ١٩٨٩

يصدرها قسم التاريخ

محتوى العدد

المراجعات وعرض الكتب :

دليل الرسائل الجامعية :

N- 4 - Jul 101



المؤرخ المصرى

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

العدد الرابع — يوليو ١٩٨٩

المراسلات :

ترسل البحوث والمقالات باسم السيد الاستاذ الدكتور / **حامد زيان غانم** على العنوان التالى :

كلية الآداب ــ جامعة القاهرة (قسم التاريخ)

جمهورية مصر العربية

الفتــح الاســلامى لاقليم الســند

١ — الفتــوح فى العهد الراشــدى :

يرجع اهتمام المسلمين باقليم السند منذ العهد الراشــدى . وذلك حين بعث عمر بن الخطاب — قبل فتح فارس — بحملات حقيقية من البحرين وعمان(١) الى بعض سواحل الســند وذلك حين أشار الى عامله عليهما عثمان بن أبى العاص الثقفى(٢) للقيام بهذه المهمة فوجه عثمان أخاه الحكم بن أبى العاص(٣) ليقوم بفتح اقليم السند . وذلك فى سنة خمس عشرة من الهجرة .

وقد كانت السند تحكم قبل الاسلام ذهاء قرن من الزمــان بواسطة أسرة مالكة تعرف فى التاريخ بأسرة « سهاسى » بوذية المذهب . وفى صدر الاسلام انتقل حكم السند الى رجل يسمى جج ، وكان برهمى المذهب(٤) .

خرج الحكم بن العاص فى جيش عظيم — لفتح السند — سكتت النصوص التاريخية عن ذكر عدده وأسماء المجاهدين فيه ولكنها أشارت الى بعض القبائل العربية التى انتظمت مثل عبد القيس والأزد وتميم

---

(١) محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ص ٥٢ .

(٢) له صحبه قدم الى الرسول صلى الله عليه وسلم فى وفد ثقيف واسلم فى سنة ٩ هـ وآمره الرسول على قومه لما راى فيه من رجاحة عقل وحرص على الخير والدين برغم صغر سنه ثم اقره ابو بكر على الطائف واستعمله عمر على البحرين وعمان . ابن الاثير : اسد الغابة ، جـ ٢ ، ص ٣٨ .

(٣) يكنى ابا عثمان وهو رجلا مجاهدا شارك فى فتوحات كثيرة بالعراق وهو معدود من البصريين ، المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .

(٤) عبد الله الطرازى : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٢٣ .

وبنى ناجية وبكر بن وائل وهى بطبيعة الحال القبائل التى كانت تسكن البحرين وعمان(٥) فتقدم جيش الحكم من البحرين صوب السند فاستولى على « اير كاون » فى الجنوب الشرقى من بلاد فارس ثم على التوج التى اتخذها قاعدة عسكرية لينطلق منها الى بلاد السند(٦) فغزا ثلاثة غزوات ركز هجماته فيها على ثلاثة مناطق هى تانة وبروص والديبل ثم قفل راجعا دون أن يحقق هدفا يذكر فكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بذلك .

فرد عليه الخليفة عمر بن الخطاب قائلا(٧) : « يا أخى ثقيف حملت دودا على عود — وانى احلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم » .

لقد شجعت هذه المحاولة الجريئة الحكم — رغم تهديد الخليفة له — أن أرسل أخاه المغيرة الى خور الديبل فقام ببعض المناوشات واضعا بذلك اللبنة الاولى للفتوحات الاسلامية فى اقليم السند .

يروى البلاذرى أن عثمان قد أرسل حملتين فى وقت واحد الى بلاد السند احداهما قادها أخاه الحكم الى تانه وبروص والأخرى قادها أخاه المغيرة الى خور الديبل فلقى العدو وظفر فى حين أن ياقوت الحموى يرى أن الحكم نفسه هو الذى توجه الى الديبل . ويؤيده فى ذلك ابن حزم والرأى الذى نميل اليه هو ما ذكره البلاذرى(٨) . ويرى السيد أحمد على ، أن عثمان بن أبى العاص قد جهز اسطولا عربيا من مياه الخليج الفارسى تحت قيادة أخويه الحكم والمغيرة الى سواحل بروج وديبل(٩) ، وكان فى مساعدتها

---

(٥) ناجى حسن : القبائل العربية فى المشرق ، ص ١٦٢ .
(٦) ناجى حسن : القبائل العربية فى المشرق ، ص ١٦٣ .
(٧) البلاذرى : فتوح البلدان ، القسم الثالث ، ص ٥٣٠ .
(٨) المرجع السابق ، ص ٥٣٠ .
(٩) مجلة معهد الدراسات الاسلامية المتهل ، العدد الاول ١٩٧٠ ، الصلات بين العرب والهند ، ص ٣٤ .

شهاب بن المخارق بن شهاب وقد حققت هذه الحملة انتصارات كبيرة رغنم المسلمون غنائم ثمينة فكتب الحكم الى الخليفة عمر بن الخطاب بالنصر ويعث له بالاخماس مع صحار العبدى(١٠) . وقد قال الحكم فى ذلك شعرا جاء فيه :(١١)

لقد شبع الارامل غير فخر
بفىء جاءهم من مكران

أتاهم بعد مسبغة وجهد
وقد صفر الشتاء من الدخان

فانى لا يزم الجيش فعلى
ولا سيفى يدم ولا سنان

غداة ادفع الاوباش دفعا
الى السند العريضة والمدانى

ومهران لنا فيما أردنا
مطيع غير مسترخى العنان

فلولا ما نهى عنه أميرى
قطعناه الى البرد الزوانى

وحين بلغ الخليفة عمر خبر فتح مكران من صحار العبدى وعرف صعوبة ما لقيه الجيش الاسلامى من عنت ومشقة كتب الى الحكم الثقفى وسهيل بن عدى بأن لا يتجاوز مكران أحد من جنودهما(١٢) — ومهما يكن من فان هذه المحاولة قد لفتت أنظار المسلمين لهذه البلاد .

---

(١٠) هو عبد الرحمن بن صحار من عبد اليس كان ضمن وفد عبد القيس الى الرسول صلى الله عليه وسلم وكان خطيبا مصقعا وله من الكتب كتاب الامثال : العقد الثمين ، المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(١١) الطبرى : الامم والملوك ، جـ ٥ ، ص ٧ — ٨ .

(١٢) الطبرى : الامم والملوك ، جـ ٥ ، ص ٧ — ٨ .

أما فى خلافة عثمان الذى عقد أمر ولاية العراق الى عبد الله بن عامر بن كريز فقد أرسل اليه يأمره بان يرسل الى ثغر السند من يعلم علمه ثم ينحرف اليه بخبره(١٣) فلم يتوانى عبد الله فى طلب الخليفة فارسل حكيم بن جبلة العبدى(١٤) فى حملة استكشافية الى اليم السند ذتي مكران ثم عاد الى العراق بعد ما عرف بعض أخبار السند(١٥) فأوفده عبد الله بن كريز الى الخليفة عثمان يروى البلاذرى أن الخليفة سأله عن حال البلاد فقال(١٦) : « يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرتها . قال : فصفها لى . فقال : ماؤها وشل . ثمرها وعل ولصها بطل ان قل الجيش فيها ضاعوا وان كثروا جاعوا . فقال عثمان : أخبر أم ساجع ؟ قال : بل خابر . فلم يقربها أحد » .

وبناءا على رواية البلاذرى هذه فان الخليفة عثمان رضى الله عنه لم يرسل أحد الى السند — بعد ذلك — حتى قتل غير أن بعض الروايات التاريخية تقول أن عثمان قد بعث بأميرين — من قبله الى مكران — فأقاما فيها وضبطا أمرها وهما عمير بن عثمان بن سعد وسعيد القشيرى . وأصبحت بلاد السند فى سنة ٣١ هـ فى خلافة عثمان ضمن بلاد الاسلام والمسلمين فقطع المسلمون القطائع وبنوا المنازل وعمروا الارض وحفروا القنوات وأدوا العشر الى الخلافة الراشدة(١٧) . فان صح هذا الرأى فيكون دخول الاسلام فى السند فى خلافة عثمان رضى الله عنه — والرأى الراجح الذى نميل اليه هو ما أورده الطبرى من أن فتح بلاد السند كان فى خلافة عمر بن الخطاب(١٨) .

---

(١٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، جـ ٢ ، ص ٥٣٠ .

(١٤) هو الحكيم بن جبلة بن حصين بن اسود بن عبد القيس ادرك النبى صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا مطاعا فى قومه — عبد الحى الحسنى : نزهة الخواطر ، جـ ١ ، ص ٥ .

(١٥) فتوح البلدان : جـ ٢ ، ص ٥٣٠ .

(١٦) ابن الخياط : التاريخ ، ص ١٨٠ .

(١٧) القاضى أبو المعالى : العقد الثمين ، ص ٣٠ — ٤٨ .

(١٨) الامم والملوك : جـ ٥ ، ص ٧ — ٨ .

ثم ترقفت حركة الفتوح الاسلامية فى بلاد السند فى أواخر خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه على يد الحارث بن مرة العبدى(١٩) الذى تطوع للقيام بنشر الدعوة الاسلامية فى بلاد الهند وما جاورها من بلاد السند بعد استئذان الخليفة فى ذلك .

لقد حقق الحارث انتصارات باهرة حفزته أن يقيم هو وجنوده فى بلاد السند زهاء الأربع سنوات فى جهاد مستمر دون أن يطرف له جفن أو يكل له ساعد فأصاب فى خلالها مغانم كثيرة وسبيا عظيما(٢٠) كلفه حياته هو ومن معه حيث استشهد بأرض القيقان فى بلاد السند سنة ٤٢ هـ(٢١) .

ويظهر أن هناك أسباب قوية دفعت بالمسلمين لفتح بلاد السند فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ الدولة الاسلامية ويجىء فى مقدمتها اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بغزو الهند ولتبشيره بالعتق من النار للغازين لها فقد روى النسائى فى سننه عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عصابتان من أمتى أحرزهما الله النار ، عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليهما السلام »(٢٢) .

وبالاضافة الى هذا فان الزط والسبابجة الذين كانوا يعيشون فى الجزيرة العربية وخاصة فى البحرين وعمان(٢٣) قد ناصروا المرتدين

---

(١٩) هو من قبيلة عبد القيس وكان فى خراسان مع على بن أبى طالب وقواده وهو من كبار التابعين ، فتح السند فى سنة ٣٩ هـ . البلاذرى : فتوح البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٣٠ .

(٢٠) يقول البلاذرى « انه قسم فى يوم واحد الف راس » . المصدر السابق ، ص ٥٣٠ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ٥٣٠ .

(٢٢) نقلا عن العقد الثمين ، المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٢٣) سكن هؤلاء القوم فى انحاء كثيرة من الجزيرة العربية وخاصة فى البحرين (شرق الجزيرة العربية) وعمان ونجران واليمامة والأبلة ومكة والمدينة — انظر البلاذرى : فتوح البلدان ، طبعة دى غوى ، هامش ٢ ، ص ٣٧٣ .

فى خلافة أبى بكر وحين لحقت بهم الهزيمة فى أعقاب حروب الردة ففروا الى بلادهم الأصلية خوفا من قبضة المسلمين التى أطاحت بكل مرتد ومارق على الاسلام .

وفوق هذا وذاك فان أهل الهند عامة والسند بصفة خاصة قد ساعدوا الفرس فى حروبهم ضد المسلمين بمالهم وعتادهم فمنهم من كان طايعا مختارا ومنهم من كان مقهورا بحكم سيطرة الفرس عليهم .

ولهذه الأسباب وغيرها فان المصادر التاريخية تنقل لنا أن بعضا من أهل السند (الزط والسيابجة) ظل وفيا على عهده محافظا على اسلامه واقفا مع المسلمين فى جهادهم ضد المرتدين والمشركين حيث

بذلوا جهدهم فى غزوات فارس وخراسان وسجستان وكرمان والسند والهند مع الجيوش الاسلامية جنبا الى جنب وصفا بصف ونال منهم مناصب كثيرة فى خلافة على بن أبى طالب(٢٤) .

---

(٢٤) البلاذرى : فتوح البلدان ؛ ص ٣٦٨ .

قائمة بقواد الحملات الاسلامية لمحاولة فتح المدن الساحلية ببلاد السند فى عهد الخلفاء الراشدين فى الفترة التاريخية من ١١ — ٤٠ هـ(٢٥)

م	اسم قائد الحملة	نوع الحملة	المنطقة التى فتحها	السنة هـ	عهد الخليفة الاسلامى	نتيجة الحملة
١ —	المغيرة بن ابى العاص الثقفى	بحرية	مدينة الديبل	١٠	عمر بن الخطاب	عودة الحملة
٢ —	الحكم بن عمرو التغلبى	برية	اقليم مكران	١٣	عمر بن الخطاب	فتح اقليم مكران
٣ —	عبد الله بن معمر التميمى	برية	اقليم مكران	٢٩	عثمان بن عفان	اعادة فتح اقليم مكران
٤ —	الحارث بن مرة العبدى	برية	اقليم مكران	٣٩	على بن ابى طالب	اقليم مكران

(٢٥) انظر عبد الله مبشر الطرازى : مجلة الفيصل ، العدد ٨٤ ، ص ٧٥ .

٢ ــ فتوح السند فى عهد الدولة الأمــوية :

لقد سبقت الاشارة الى أن اهتمام المسلمين ببلاد السند يرجع لعهد الخلافة الراشدة وذلك حين شنت الحملات العديدة على أطراف هذه البلاد واضعة بذلك بواكير دخول الاسلام فى الهند عامة وأقليم السند بصفة خاصة .

ومن الملاحظ أن بعض المؤرخين قد أسهب بصورة مملة فى ذكر دقائق فتح المسلمين لبلاد السند دون مراعاة وتتبع للحقائق بصورة موضوعية . ولذا سنحاول الاعتماد فى هذه الدراسة على المصادر التى تناولت فتح المسلمين للسند من غير غلو ولا مبالغة(٢٦) .

بدأت الفتوحات الاسلامية فى بلاد السند فى عصر الدولة الأموية منذ خلافة معاوية بن أبى سفيان من سنة ٤٠ الى سنة ٦٠ هـ ويظهر أن معاوية لم تغب عن باله هزيمة المسلمين فى القيقان على عهد خلافة على بن أبى طالب ولذا فانه قد بعث بنحو سبع غزوات لتلك البلاد ، كان من أبرزها تلك التى قادها المهلب بن أبى صفرة الازدى سنة ٤٤ هـ(٢٧) حيث اتجه الى بلاد السند فأتى تنة والاهوار(٢٨) .

اشتبك المهلب فى جسارة وعزيمة مع جيش العدو ببلاد القيقان فاستطاع أن يحقق النصر بعد أن حذف الخيل من المسلمين (٢٩) ويورد

---

(٢٦) يعد البلاذرى صاحب كتاب فتوح البلدان فى مقدمة هــؤلاء المؤرخين لقربه الى ذلك الفتح ــ انظر محمد عالم الافغانى : مجلة المنهل ، فتوح السند ، ص ٧ .

(٢٧) كان ذا دراية تامة بمكيدة الحرب وقد اشتهر فى حروبه ضــد الخوارج ببلاد فارس وامتاز بحبه للجماعة وبرفضه للفتن والثورات . محمد الخضرى : تاريخ الامم ، جـ ٢ ، ص ٢١٣ .

(٢٨) بين الملتان وكابل : البلاذرى ــ المصدر السابق ، ص ٥٣١ .

(٢٩) وجد المهلب ثمانية عشر فارسا من الترك على خيل محذوفة فقاتلوه بشجاعة حتى قتلوا فقال ما جعل هؤلاء الاعاجم أولى بالتشمير لحذف الخيل وكان أول من حذفها ــ المصدر السابق ، ص ٥٣١ . ابن الخياط ، ص ٢٠٦ .

البلاذري أن النصر الذي أحرزه المهلب في بنة ما كان ليكون لولا ثبات الازد ويقول الازد في ذلك :(٣٠)

ألم تر أن الازد ليلة بيتوا
بينة كانوا خير جيش المهلب

ثم رجع المهلب بعد هذه الحملة التاديبية الى دمشق .

وفي سنة ٤٧ هـ أرسل معاوية عبد الله بن عامر بن عامر ابن سوار العبدي(٣١) الى مكران جيشا قوامه أربعة آلاف حتى أتى مكران فمكث بها شهورا ثم بعد ذلك ذهب الى القيقان غازيا فأصاب مغانم كثيرة ثم عاد الى معاوية يحمل في وطابه نشوة النصر وخيلا قيقانية أهداها لمعاوية ويبدو أن معاوية قد أعجب بما حققه ابن سوار من نصر فأعاده مرة ثانية الى السند ، ويقول البلاذري في ذلك :(٣٢) « ثم رجع الى القيقان فاستجاش الترك فقتلوه » .

وتروى المصادر التاريخية أن ابن سوار حرض المسلمين على القتال وحثهم بقوله : « يا أبناء المهاجرين والانصار دونكم الشهادة » فاجتمع المسلمون حول راية ابن سوار في صبر ومجاهدة حتى هزموا أهل القيقان وقد استشهد ابن سوار في هذه الغزوة في سجستان بالسند سنة ٤٩ هـ وقد صور عبد الله بن عبد الرحمن العبدي عند معاوية هذه المعركة بقوله :(٣٣)

أبلغ ربيعة أعلاها وأسفلها
انا وجدنا ابن سوار كسوار

---

(٣٠) نفس المصدر والصفحة .
(٣١) كان رجلا كريما وقد قال فيه الشاعر :
ابن سوار على عـلاته
موقد النار وقتال السغب
(٣٢) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٥١ .
(٣٣) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

لا يسمن الخيل الا ريث يمهلها
وما سواء فتردى طول أعصار

لم يعق استشهاد ابن سوار من مواصلة فتح المسلمين لبلاد السند ففي خلافة معاوية عمل زياد بن أبي سفيان والي العراق على تكليل هذه الجهود بالنجاح عندماكتب اليه معاوية قائلا (٣٤) « أنظر رجلا يصلح لثغر الهند فوجهه » ، فلم يتوانى زياد في الاستجابة لهذا الأمر فأرسل سنان بن سلمة بن محبق الهذلي وقد وصفه البلاذري بالفضل وقوة العزيمة وشدة الحرص على انجاز مهمة فتح بلاد السند حيث قال (٣٥) « وكان فاضلا لا متألها ، وهو أول من أحلف الجند بالطلاق . فأتى الثغر ففتح مكران عنوة ومصرها وأقام بها وضبط البلاد » ، وفيه يقول الشاعر (٣٦)

رأيت هذيلا أحدثت في يمينها
طلاق نساء ما تسوق لها مهرا

لهان على حلفة ابن محبق
اذا رفعت أعناقها حلقا صفرا

ثم واصل سنان فتوحه في السند حتى أتى الى ثغر القيقان ثم أتى ناحية البدهة فغدروا به واستشهد فيها ، فقال ابن خلاص البكري(٣٧) :

أبلغ سنان بن منصور واخوته
أغنى هذيلا كراما غير أغمار
أنا عتبنا عليكم في امارتكم
والدهر ذا قلل في الناس دوار

---

(٣٤) استخلف حزاز بن كراز العبدى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .
(٣٥) ابن الخياط : التاريخ ، ص ٢٠٩ .
(٣٦) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٢٢ .
(٣٧) العقد الثمين : القاضي ابو المعالي ، ص ١١٩ .

يعطى الجزيل وينشر غير مستتر
ولا يزيد ثرى من بعد اقتار
ولم ينزل القوم اذ حنت قناتهم
كابن المعلى ولا مثل بن سوار
ولابن مرة اذ أودى الزمان به
كم فلل الدهر من ناب وأظفار

وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ ولاية سنان لاقليم السند فمنهم من قال انها كانت مرتين احداهما فى سنة ٤٢ هـ بعد شهادة راشد بن عمر والازدى وكان زياد قد ولاه الثغـ فاتى مكران ثم غزا القيقان فقتل فى الميد فخلفه سنان والاخرى فى سنة ٤٨ هـ وبعد شهادة عبد الله بن سوار • ومنهم من قال ان غزوته كانت فى ولايته الاولى وفيها استشهد فى حين أن ابن الخياط تفرد بالقول(٣٨) بأن شهادة راشد ابن عمرو وولاية سنان كانتا فى سنة ٥٠ هـ • وذكر بعض المؤرخين من أن زياد صرف سنان فى المرة الاولى عن ثغر السند ثم ولى مكانه المنذر بن الجارود العبدى ثم اعاده للمرة الثانية وفيها استشهد(٣٩) •

والرأى الذى نميل اليه هو ما أورده البلاذرى حيث قال :(٤٠) ان زياد قد استعمل على ثغر السند راشد بن عمرو الجديدى الازدى ثم ما لبث أن قتل بها ، ثم قام بالأمر من بعده — لمدة عامين — سنان ابن سلمة ثم بعده ولى زياد أمر السند للمنذر بن الجارود العبدى الذى قام بغزوات عديدة فى البوقان والقيقان وتمكن من فتح قصدار التى ارتد أهلها بعد موت سنان بن سلمة التى كان فتحها على يديه ثم مات المنذر بن الجارود بقصدار وقد رثاه أحد الشعراء بقوله(٤٥) :

---

(٣٨) التاريخ : ص ٢١٢ .
(٣٩) العقد الثمين : القاضى ابو المعالى ، ص ١١٩ .
(٤٠) فتوح البلدان : القسم الثالث ، ص ٥٣٢ .
(٤١) المصدر السابق ، ص ٥٣٢ .

حل بقصدار فأضحى بها
في القبر ولم يقفل مع القافلين
لله قصدار وأعنابها
أي فتى دنيا أجنت ودين

ثم واصل الأمويون فتوحاتهم في أقليم السند على عهد معاوية ففي سنة ٥٣ هـ ولى أمرها عباد بن زياد بن حرى الباهلي بعد أن خلفه عبيد الله بن أبي بكرة في ولاية سجستان فأخذ يغزو السند في جد وصبر فاجتاح القندهار حتى بلغ بيت الذهب وجمع له خلق عظيم أعانه الله بالانتصار عليهم ثم فتح البوقان(٤٢) وقد ذهب بعض المؤرخين الى أن عباد الباهلي لم يكن ذهب للسند فاتحا بمفرده انما كان ضمن سرايا سنان ابن سلمة وربما استدلوا على ذلك بقول الشاعر :(٤٣)

لولا طعاني بالبوقان ما رجعت
منه سرايا ابن حرى بأسلاب

ثم أن عباد أقام في اقليم السند سبع سنين قدم فيها للاسلام خدمات جليلة وظل واليا على سجستان حتى وفاة معاوية(٤٤) .

وهكذا استطاع الأمويون في خلافة معاوية أن يبذلوا جهودا موفقة في نشر الاسلام في السند وعقب وفاته أعطى والى العراق الحجاج بن يوسف الثقفي(٤٥) اقليم السند عناية خاصة فأرسل عدة حملات لم تصل كلها الى نتيجة حاسمة .

(٤٢) ابن الخياط : التاريخ ، ص ٢١٩ .
(٤٣) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٥٣٣ .
(٤٤) ابن الخياط : التاريخ ، ص ٢١٩ .
(٤٥) ولى الحجاج سعيد بن زرعة الكلابي مكران ، فخرج عليه معاوية ومحمد ابناء الحارث والعلافيان فقتلاه واستوليا على السند فبعث الحجاج لهما مجاعة بن سعر التميمي الذي أعاد الامور الى نصابها ، البلاذري : ص ٥٣٣ .

يظهر أن أول حملة نظامية الى اقليم السند — بعد ذلك — كانت فى خلافة الوليد بن عبد الملك حيث اذن لعامله الحجاج بن يوسف الثقفى بأن يضع حدا لفتح هذا الاقليم الذى كلف الدولة جهدا ووقتا كبيرين فأذعن الحجاج لذلك فجهز حملة ذات بأس لفتح السند وضمها للدولة الاسلامية .

لقد اختلفت الروايات التاريخية فى الاسباب الحقيقية التى دفعت للقيام بهذه الحملة ونضيف الى ما سبق أن ذكرنا هذه الاسباب :

١ — أن ملك جزيرة الياقوت(٤٦) قد أهدي الى الحجاج الثقفى نسوة — مسلمات — ولدن فى بلاده مات آباؤهن وكانوا تجارا فأراد أن يتقرب للحجاج بهن فتعرض للسفينة التى كن فيها قوم من ميد الديبل فأخذوا السفينة بما فيها فنادت أمراة منهن وكانت من بنى يربوع : يا حجاج . وبلغ ذلك الحجاج فقال : « يا لبيك » فما كان منه الا وان أرسل الى داهر ملك السند يسأله تخلية سبيلهن . فقال (الملك) انما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم » ، يرى محمد عالم الافغانى(٤٧) أن فى الرد من ملك السند داهر للحجاج استخفافا به اذ أنه فى الوقت الذى تسلم فيه داهر خطاب الحجاج ، كانت النسوة فى سجن عاصمته « الور » ويؤيد الافغانى رأيه هذا بما أورده فرشته الذى قال : أن داهرا أراد أن يتحدى الحجاج حين كتب فى رده له هذه العبارة « هذا العمل الذى أتاه قوم ذو بأس وشكيمة تستحيل عقوبتهم مهما بذلت من جهود »(٤٨) وذهب آخرون بأن داهر كان صادقا فيما ذهب اليه وقد رد أكبر شاه خان النجيب أبادى على من قال بصدق داهر من أن القرصان هم الذين نهبوا النسوة

---

(٤٦) يقول البلاذرى : (سميت هذه الجزيرة جزيرة الياقوت لحسن وجوه نسائها) انما اسمها الحقيقى (سرنديب) ، المصدر السابق ، ص ٥٣٤ .

(٤٧) مجلة المنهل : فتوح السند ، ص ٢٨ .

(٤٨) محمد الافغانى : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

المسلمات فقال : « لم يعرف عن وجود القرصان قبل تجول البرتغاليين فى المحيط الهندى ولم يسمع شىء عن لصوص البحر فى بحر العرب فى القرن الأول ولم يكن القرصان يستطيعون التجوال فى البحار فى ذلك الوقت ونهب ثمان سفن الا اذا كانوا على اتفاق تام مع احدى الممالك الكبرى(٤٩) .

ونرى أن داهر ملك السند لم يكن يريد برده على الحجاج الثقفى أن يستنفذه لأنه ليس فى حاجة الى أن يستعدى الدولة الاسلامية والدخول معها فى حروب يعلم هو دون غيره مخاطرها فى عهد الخليفة القوى عبد الملك بن مروان تأييدا لما ذهب اليه البلاذرى(٥٠) من أن داهر أراد بارسال النسوة للحجاج موادانه والتقرب اليه .

أما فيما يتعلق برأى أكبر شاه من عدم وجود قراصنة فى البحر الهندى قبل مجىء البرتغاليين فان المصادر التاريخية تؤكد وجود قراصنة من السند كان فى مقدمتهم جالية الميد التى كانت تغير على السفن وتنهبها فى البحار وكانت مساكنها تمتد من حوض نهر السند الى منطقة أوتكين احدى تخوم الهند ومن المناطق الساحلية الواقعة على حوض نهر السند الى الملتان(٥١) .

٢ — أما السبب الثانى لفتح بلاد السند فقد أشار اليه عدد من المؤرخين حيث ذكروا أن الحجاج الثقفى قد ولى على السند (مكران) سعيد بن أسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية بن الحارث الكلابى العلاقى وأخوه محمد فغلب على البلاد وقتلا سعيد فأرسل

---

(٤٩) نفس المرجع السابق ، ص ٢٩ .
(٥٠) فتوح البلدان ج ٣ ، ص ٥٣٤ — عبد المنعم النمر : الاسلام فى الهند ، ص ١٠٤ .
(٥١) كانت توجد لقطاع الطرق المائية ملاجىء واوكار فى سواحل كجرات وكوكن بكثرة وكان الملوك الهنود قد ضاقوا بهم ذرعا ولم ينالوا منهم شيئا حتى اخضعهم المسلمون فيما بعد : انظر قاضى اطهر : من التارجيل الى التخيل ، ص ٥٧٦ .

الحجاج مجاعة بن سعيد التميمى فأعاد الأمور الى نصابها ثم مات بعد سنة من ولايته(٥٢) وقد قيل فيه :(٥٣)

ما مشـــاهد كالتى شـــاهدتها
الا يزينـــك ذكـــرهن مجـــاعا

ثم ولى الحجاج السند بعد مجاعة لمحمد بن هارون بن زراع النمرى الذى أخذ يتتبع — لمدة خمس سنوات — العلاقيين فقبض على معاوية بن الحارث العلاقى فاحتز رأسه وبعث به الى الحجاج فى حين أن أخاه محمد أفلت من قبضته ثم التجأ فى خمسمائة مقاتل الى داهر ملك السند الذى استقبله استقبالا حافلا فلما علم الحجاج بذلك كتب الى الخليفة يستأذنه فى فتح السند غير أن الخليفة توفى قبل أن يوافق على اقتراح الحجاج(٥٤) .

يرى محمد الافغانى مما سبق أن الحجاج اضطر اضطرارا الى فتح السند حسب النصوص السابقة لكى يضع حدا لهذه المؤامرات التى كان يدبرها داهر فى الخفاء ويخطىء من يظن أن السند انما فتحت لمآرب أخرى والحال انها بلاد جدبة لا يرجى خير جزيل من وراء استعمار أراضيها(٥٥) .

ونختلف مع هذا الرأى من حيث أن المسلمين لم يكن يدور بخلدهم عبر حركة الفتوحات الاسلامية البحث عن مغنم أو الجرى وراء استعمار أرض انما كان هدفهم الاساسى وشغلهم الشاغل هو تحقيق أمر الله تعالى بنشر دينه القويم واعلاء لكلمته وتحريرا للشعوب من جور واستبداد ملوكها وهذا هو فى نظرى السبب الرئيسى من فتح المسلمين للسند .

---

(٥٢) عبد الرحمن بن خلدون : العبر ج ٣ ، ص ٤٢ .
(٥٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٤ ، ص ١٤٧ .
(٥٤) محمد الافغانى : مجلة المنهل المرجع السابق ، ص ٢٩ .
(٥٥)

ومهما يكن من أمر فان الحجاج بن يوسف الثقفى أعد جيشا كبيرا أسند قيادته لابن أخيه محمد بن القاسم الثقفى سنة ٩٢ هـ . وكان شابا لم يطرأ شاربه اذ كان لم يتجاوز من العمر سبع عشرة سنة وقد قال الشاعر حمزة بن بيض الحنفى فى ذلك :(٥٦)

ان السماحة والمروءة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة
يا قرب ذلك سوددا من مولد

يقول البلاذرى :(٥٧) « ان محمد بن القاسم كان بفارس فأمره الحجاج الثقفى أن يسير الرى وعلى مقدمته أبو الأسود جهم بن زحر الجعفى • فرد اليه وعد له على ثغر السند وضم اليه ستة آلاف من جند الشام وخلقا من غيرهم وجهزه بكل ما احتاج اليه حتى الخيوط والمال وأمره أن يقيم بشيراز يتتام اليه أصحابه ويوافيه ما أعد له » •

ويظهر من هذا النص اهتمام الحجاج بهذه الحملة ومدى عنايته بها اذ وفر لها كل ما تحتاجه(٥٨) . فسار محمد الى مكران فأقام بها أياما ثم أتى فنزبور ففتحها(٥٩) ثم أتى أرمائيل ففتحها وكان محمد

---

(٥٦) هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى كان من بنى أعمام الحجاج وكان حنقة وقد ولاه الحجاج أول الامر قتال الاكراد فأباد منهم — انظر ابن قتيبة الدنورى : عيون الاخبار ، طبعة دار التراث جـ ١ ، ص ٢٢٩ — انظر ابن الاثير : الكامل جـ ٤، ص ٢٢٤ .

(٥٧) وقد رثاه شاعر آخر مؤكدا هذا العمر بقوله :

ساس الرجال لسبع عشر حجة
ولداته من ذلك فى اشغال

انظر ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ، ص ٢٢٤ — ابن قتيبة : المصدر السابق جـ ١ ، ص ٢٢٩ .

(٥٨) فتوح البلدان : جـ ٣ ، ص ٥٣٤ .

(٥٩) يروى البلاذرى أنه زودهم بالقطن المتنوع فى خل الخمر الحاذق ثم جففه فى الظل ليطبخوا به فى السند — المصدر السابق ، ص ٥٣٤ .

بن هارون بن ذراع قد لقيه فانضم اليه وسار معه(٦٠) ثم بعد ذلك سار محمد بن القاسم ومعه جهم ابن زحر الجعفى حتى وصل الى الديبل فى يوم الجمعة وضرب حولها حصارا محكما فانضم اليه جمع من الهد والزط فقوى المسلمون بهاتين القبيلتين ثم استخدم المسلمون أسلحة قوية من بينها منجنيقا يسمى العروس يديره خمسمائة جندى . وبعدها أخذ محمد بن القاسم يقتل من بالمدينة ثلاثة أيام فهرب عامل داهر ملك السند عنها وقتل سادن بيت آلهتهم وبهذا حقق المسلمون نصرا باهرا ثم استولوا على الديبل وأقام بها محمد بن القاسم مسجدا لاقامة شعائر الصلاة وترك بها حامية قوامها أربعة آلاف جندى(٦١) وغدت الديبل أول مدينة اسلامية فى الهند(٦٢) .

ثم سار بعد ذلك الى بلدة البيرون وكان أهلها قد بعثوا الى الحجاج مصالحين فاستقبلوا محمد الثقفى بالميرة وفتحوا له الطريق للدخول فيها بعد أن خرجوا منها(٦٣) وهكذا حسب رواية ابن الاثير أن محمد الثقفى أخذ يستقطع مدن السند المدينة تلو الأخرى تارة بالصلح وأخرى بالخراج حتى عبر نهر أدون مهران فنزل فى وسطه فلما بلغ خبره ملك السند داهر استعد لمحاربة المسلمين(٦٤) ظنا منه أن النهر يعرقل عبورهم(٦٥) غير أن المسلمين استطاعوا عبور

---

(٦٠) تروى بعض المصادر انه محمد بن القاسم حين قصد السند كان له قوتان احداهما برية قوامها عشرين الف مقاتل واخرى بحرية تحمل جنود الاسطول وعتاده ومؤونة الجيش المهياة لحصار الحصون . القاضى أبو المعالى : العقد الثمين : ص ١٨٢ .

(٦١) القاضى ابو المعالى : العقد الثمين ، ص ٥٣٥ . الكامل : المصدر السابق ، ص ١١١/٤ .

(٦٢) عصام عبد الرؤوف : بلاد الهند فى العصر الاسلامى ، ص ١٠.

(٦٣) ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ، ص ١١١ .

(٦٤) المصدر السابق ، ص ١١١ .

بعث محمد جيشا الى سدو وستان فطلب اهلها الصلح والامان فآمنهم وصف لهم الخراج ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٦٥) عصام عبد الرؤوف : بلاد لهند فى العصر الاسلامى ، ص ١٠.

النهر على الزوارق ولما شعر باقتراب المسلمين لجأ الى حصن الرور فباغته المسلمون على الرغم من استخدامه الفيلة والنبال والنفط فانهزموا شر هزيمة ثم استولى المسلمون على الرور وفى هذه المعركة الحاسمة قتل داهر ملك السند وحسب رواية المدائن أن الذى قتل داهر رجل من بنى كلاب(٦٦) فى حين أن ابن الكلبى يرى أن قاتل داهر القاسم بن ثعلبة بن عبد الله بن حسن الطائى(٦٧) .

ثم أخذ محمد القاسم يطارد فلول جيش داهر حتى فتح راور التى كانت بها زوجة لداهر فلما خشيت على نفسها من أن تقع فى قبضة المسلمين حرقت نفسها وجواريها وجميع ما لها ثم توجه الى برهمناباد وقد اعتصم بها فلول جيش داهر . يقول البلاذرى :(٦٨) « ففتحها محمد عنوة وقتل بها ثمانية آلاف وقيل ستة وعشرين ألف » .

أخذ محمد ابن القاسم الثقفى يفتح بلاد السند مدينة مدينة ناشرا العدل الاسلامى بحسن خلقه وطيب سيرته فاجتذب القلوب بعدالة الحكم ورفق السياسة مما جعل أهل السند يتعلقون به ويرحبون به أجمل ترحيب حيث أنه خلصهم من جور ملوك الهندوس .

ويوضح لنا هذه السياسة المنشور الذى جعله دستورا يسوس به بلاد السند اذ يقول فيه :(٦٩) « أنصفوا الناس من أنفسكم واذا

---

(٦٦) وقد قال فى ذلك شعرا جاء فيه :

الخيل تشهد يوم داهر والقنا ومحمد بن القاسم بن محمد

انى فرجت الجمع غير معرد حتى علوت عظيمهم بمهند

فتركته تحت العجاج متعفر الخدين غير مؤسد

البلاذرى : فتوح البلدان ــ القسم الثالث ، ص ٥٧٣ .

(٦٧) البلاذرى : فتوح البلدان : جـ ٢ ، ص ٥٣٧ .

(٦٨) المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .

(٦٩) القاضى ابو المعالى : القصد الثمين ، ص ١٨٣ .

كانت قسمة فاقتسموا بالسوية وراعوا فى فرض الخراج مقدرة الناس على أدائه ا لاتختلفوا ولا تنازعوا فتشقى بكم البلاد » •

توج المسلمون انتصاراتهم تلك بالاستيلاء على الملتان تلك المدينة المقدسة (٧٠) التى يحج اليها الهنود حيث أنهم يقدمون الهدايا ويحلقون رؤوسهم ويقدمون النزور لاصنامهم الكثيرة الموجودة بها وبسقوط هذه المدينة أصبح وادى السند بأكمله فى حوزة المسلمين ويقول البلاذرى فى ذلك :(٧١) « وكان بالملتان بدا عظيما تهدى اليه الأموال ويزعمون أن صنما فيه هو أيوب النبى صلى الله عليه وسلم » •

لم يمض على هذا النصر الحاسم الذى حققه محمد بن القاسم الثقفى فى بلاد السند الا فترة وجيزة حتى جاز الحجاج بن يوسف الثقفى الى ربه وقبل أن يسعد بثمرة ما كسبه من الحملة مقابل ما أنفقه عليها . حيث أنه أنفق عليها ستين ألف ألف درهم • وبعد النصر حمل له محمد بن القاسم عشرين ومائة ألف ألف . فقال الحجاج فى ذلك : « شفينا غيظا وأدركنا ثأرنا وزدنا ستين ألف ألف درهم ورأس داهر »(٧٢) •

وفى سنة ٩٦ هـ لحق الوليد بن عبد الملك بالحجاج فبويع سليمان ابن عبد الملك بالخلافة — فاستعمل صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق وولى يزيد بن أبى كبشة السكسكى السند . فحمل محمد بن القاسم الثقفى — بايعاز من صالح بن عبد الرحمن مقيدا مع معاوية ابن المهلب ، فقال محمد متمثلا قول الشاعر :

---

(٧٠) يمثل استيلاء المسلمين على الملتان اهمية كبيرة اذ يوجد بها المعابد الدينية الكبيرة ويهدون لصنمها الذهب حتى سميت بفرج بيت الذهب .

المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٤٨٢ .

(٧١) فتوح البلدان : المصدر السابق ، القسم الثالث ، ص ٥٣٨ .

(٧٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، القسم الثالث ، ص ٥٣٨ .

أضاعوني وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

تبكي أهل السند عليه دمعا سخينا وحبسه صالح بن عبد الرحمن في مدينة واسط بعد أن عذبه ومعه رجال من آل بنى عقيل ثم قتله(٧٣) وقد أورد البلاذرى أن سبب ذلك أن الحجاج كان قد قتل آدم أخا صالح الذى كان على مذهب الخوارج انتقاما لأخيه • ونرى أن هذا السبب لا يمكن أن يكون كافيا في قتل محمد بن القاسم •

والواقع أن محمد بن القاسم قد مات ضحية العداوة بين الحجاج وسليمان بن عبد الملك لأن الأول أشار الى عبد الملك أن يعهد بالملك بعهده الى ابنه الاكبر ويحرم سليمان منه ، فحفظ الأخير العداوة في قلبه ، ولما آلت اليه الخلافة كان الحجاج قد توفى فانتقم سليمان من جميع أقربائه وأصدقائه حتى كتابه(٧٤) •

لم تدم ولاية يزيد بن أبى كبشة على السند طويلا حيث وافته المنية بعد ثمانية عشر يوما من قدومه اليها فانتهز ملوك السند الفرصة وعادوا الى ممالكهم من جديد وقد بعث سليمان بن عبد الملك على الهند حبيب بن المهلب لرد الأمور الى ما كانت عليه ولكنه وجد الأمر قد استفحل حيث رجع جليشة بن داهر الى برهمناباذ وأخذ محاولا استرداد ملك أجداده وقبل أن يعيد حبيب بن المهلب السيطرة على اقليم السند توفى سليمان بن عبد الملك وتولى الخلافة عمر بن

---

(٧٣) وقد قال محمد بن القاسم حين أخذ في الحديد الى واسط شعر جاء فيه :

فلئن ثويت بواسط وبأرضها
رهن الحديد مكبلا ومغلولا
فلرب فتية فارس قد رعتها
ولرب قرن قد تركت قتيلا

البلاذرى : فتوح البلدان ، القسم الثالث ، ص ٥٣٩ .

(٧٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، القسم الثالث ، ص ٥٤٠ .
أنظر الطبرى : الامم والملوك ، دار سويدان ، بيروت جـ ٥ ، ص ٤٩٩.

عبد العزيز سنة ٩٩ هـ فعلم بأحوال السند وانتفاضة أهلها فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والدخول فيه . على أن يملكهم ما هم عليه ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم .

ثم أرسل اليهم عمرو بن مسلم الباهلى عاملا من قبله . فلما علم ملوك السند عن سيرة عمر بن عبد الله وحسن خلقه(٧٥) دخلوا فى الاسلام دون تردد فأصبح جليشة بن داهر ملكا على السند من قبل الدولة الاسلامية(٧٦) .

وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز تولى أمر الخلافة يزيد بن عبد الملك الذى أخذ يبعث بالولاة الواحد تلو الآخر لامارة السند فأخذت السند تضطرب أحوالها من جراء المعاملة التى انتهجها ولاة الامويين عقب خلافة عمر بن عبد العزيز الأمر الذى جعل جليشة ابن داهر ملك السند يشق عصا الطاعة أولا ثم يرفض النزول عن حكم بلاده بقوله :(٧٧) للجنيد بن عبد الرحمن الذى تولى أمر السند من قبل عمر بن هبيرةالفزازى ــ « انى أسلمت وقد ولانى الرجل الصالح بلادى ولست آمنك » .

لقد راهنه الجنيد على أن يدفع جليشة الخراج دون المساس بحرماته ويروى البلاذرى أن الجنيد قد نكث على عهده وتجنى على جليشة مما جعله يرتد عن الاسلام ويعود الى ديانته السابقة ودخل فى مواجهة عسكرية مع الجيوش الاسلامية انتهت بالقضاء على جليشة وأخيه صصه بن داهر الذى حاول الهرب الى العراق ليشكو الجنيد للخليفة العباسى .

---

(٧٥) يصور حسن سياسة كتابه الى عبد الرحمن بن ابراهيم والذى قال فيه : (لا تهدموا كنيسة ولا بيت نار صولحتم عليه ولا تحدثن كنيسة ولا بيت نار ولا تجر الشاة الى مذبحها ولا تحدوا الشفرة على رأس الذبيحة ولا تجمعوا بين الصلاتين الا عن عذر).
الطبرى : الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٧٢ .

(٧٦) البلاذرى : فتوح البلدان ، القسم الثالث ، ص ٥٤٠ .

(٧٧) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

ويظهر لنا مما سبق أن الاسلام لم يتمكن من قلوب ملوك السند انما كان دخول أبناء داهر فى الدين الاسلامى عقب ولاية عمر بن عبد العزيز كان مجرد مناورة سياسية الهدف منها اعادة ملك أجدادهم والدليل على ذلك ردتهم فى أول مواجهة من امارة الدولة الأموية . وعليه نرى أن معاملة الجند مهما كانت لا تصل الى حد الردة عن الاسلام . الا اذا كان التصور هشا والايمان ضعيفا .

وخلاصة القول أن عزل محمد بن القاسم الثقفى عن اقليم السند قد مثل خسارة كبيرة بالنسبة لحركة الفتح الاسلامى فى اقليم السند فى عصر الدولة الأموية حيث أن العديد من الولايات قد انتقض على الحكم الاسلامى وأخذ الولاة الأمويون يبذلون جهودهم فى الحفاظ على ممتلكاتهم فى بلاد السند دون أن يفكروا فى اضافة مناطق جديدة تعزز من موقفهم وتمكن الاسلام فى تلك البلاد .

ولولا المحاولات الجبارة التى بذلها الحكم بن عوانة(٧٨) لضاعت هيبة الاسلام والمسلمين فى بلاد السند حيث أنه كان من خيرة الولاة الذين ساعدوا فى تثبيت دعائم الاسلام فى شواطىء نهر السند وذلك حين بنى مدينتى المنصورة والمحفوظة ؛ وقد أصبحت المنصورة فيما بعد عاصمة الدولة الاسلامية ببلاد السند وقد سار فى الناس سيرة عطرة وأطلق لأهل السند الحرية الدينية(٧٩) .

وعندما سقط الدولة الأموية وحلت محلها الدولة العباسية حافظ العباسيون بكل ما عندهم من امكانات على بلاد السند الاسلامية واجتهدوا فى توسيع دائرة الفتوحات فى تلك البلاد ففى خلافة المنصور

---

(٧٨) هو الحكم بن عوانة بن عياض بن وزن بن عبد الحارث . لقد قال للبراهمة وغيرهم : عمروا معابدكم واعبدوا أصنامكم وعاملوا المسلمين فى البيع والشراء واجتهدوا فى أصرحكم وتعاهدوا فقراء البراهمة ، واسمعوا واطيعوا أمرائكم ولكم الامان .

المقد الثمين : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(٧٩) عصام عبد الرؤوف : الهند فى العصر الاسلامى ، ص ١١ .

دخلت كشمير في حوزة العباسيين وأكدوا نفوذهم على الملتان . وتوالت سيطرتهم على الكثير من المدن ، ففي عهد الخليفة المهدى سنة ١٥٩ هـ استولى المسلمون على مدينة باربد ثم أحرقوا تمثال بوذا وهكذا أخذت فتوحات المسلمين في العصر العباسي تجتاح الكثير من المدن في عهد المأمون والمعتصم حتى سيطروا على كافة المناطق الواقعة بين كابل وكشمير والملتان(٨٠) .

ولما ضعفت الدولة العباسية وعجزت الحكومة المركزية عن السيطرة على جميع البلاد استقل حكام الاقاليم بولاياتهم عن عاصمة الخلافة ببغداد وقامت في بلاد السند امارتان مستقلتان عن سيطرة الدولة العباسية ، احداهما في الشمال وعاصمتها الملتان والثانية في الجنوب وعاصمتها المنصورة ، وقد استقرت أحوال هاتين الامارتين نتيجة لتحسن الاحوال الاقتصادية وازدهار النشاط التجارى في بلاد السند وبلاد الشرق والغرب وبالتالى فقد ازدهرت فيهما العلوم والحضارة نتيجة لهذا الاستقرار ، الأمر الذى جعلهما ملجأ للفارين من بطش الدولة العباسية .

---

(٨٠) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٥٠ .
محمود السادانى : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

قائمة بأسماء الحملات الاسلامية لاقليم السند في الدولة الاسلامية

م	اسم قائد الحملة	اسم المنطقة	عهد الخليفة الاموى	نتيجة الحملة
١	عبد الله بن نبهان السلمى	مدينة الديبل ببلاد السند	الوليد بن عبد الملك	استشهد في المعركة سنة ٩٠ وفشلت الحملة .
٢	بديل بن طهفة البجلى	مدينة الديبل ببلاد السند	الوليد بن عبد الملك	استشهد في المعركة سنة ٩٠ وفشلت الحملة .

م	اسم الوالى الاسلامى	السنة الهجرية	عهد الخليفة الاسلامى	مصير الحملة ببلاد السند
١	محمد بن القاسم الثقفى	٩٢ — ٩٦ هـ	الوليد بن عبد الملك	عزل وقتل بسجن واسط
٢	يزيد بن أبى كبشة	٩٦ — ٩٦ هـ	سليمان بن عبد الملك	مات ببلاد السند بعد ١٨ يوما
٣	حبيب بن المهلب	٩٧ — ٩٩ هـ	سليمان بن عبد الملك	عزل بتهمة الخيانة ضد الدولة
٤	عمرو بن مسلم الباهلى	٩٩ — ١٠١ هـ	عمر بن عبد العزيز	عزل ونقل الى دمشق
٥	هلال بن احوز التميمى	١٠١ — ١٠٧ هـ	يزيد بن عبد عبد الملك	عزل ونقل الى دمشق
٦	الجنيد بن عبد الرحمن الحرمى	١٠٧ — ١١١ هـ	هشام بن عبد الملك	نقل الى بلاد خراسان
٧	تميم بن زيد العتبى	١١١ — ١١٢ هـ	هشام بن عبد الملك	مات في مدينة الديبل
٨	الحكم بن عوانة الكلبى	١١٣ — ١٢١ هـ	هشام بن عبد الملك	استشهد في بلاد السند
٩	عمرو بن محمد بن القاسم	١٢١ — ١٢٥ هـ	هشام بن عبد الملك	انتحر بمدينة المنصور بالسند
١٠	يزيد بن عرار الكلبى	١٢٥ — ١٢٩ هـ	الوليد بن يزيد	قتل بمدينة المنصورة بالسند

انتشار الثقافة العربية الاسلامية فى السـند :

بعد هذا العرض لفتوح المسلمين لبلاد السند نشير بايجاز الى دور هذه الفتوح فى نشر الثقافة العربية الاسلامية ٠ لقد قدم العرب لأهل السـند فى فترة حكمهم التى استمرت أكثر من ثلاثة قرون (٩٠ — ٤١٦ هـ) وفى أثناء الحكم الاسلامى الكثير من الخـدمات فى كافة المجالات السياسية والثقافية والدينيـة والاجتماعية فمن الناحية السياسية فقـد ظهر الاستقرار السياسى فى بلاد السـند حين جاء الاسلام بعد أن كان عدم الاستقرار السياسى هو السمة الغالبة على هذه البلاد نتيجة الغزو والسيطرة الاجنبية بعد أن كانت السند صاحبة حضارة قديمة لها المجد والسؤدد وهى حضـارة (موهنجودارو) ، فلما جاء الاسـلام أدخل المساواة والعـدالة الاجتماعية فقضى على التفرقة العنصرية وأعطى الفرصة للجميع فى حرية تامة وأصبح لبلاد السند مكانة مرموقة وشأن عظيم(٨١) ٠

أما من الناحية الدينية فقد كانت السـند قبل مجىء الاسلام مقسمة الى عدة مذاهب دينية مختلفة مما ساعد على نشوب الخلافات المذهبية الحادة التى دفعت الى قيام حروب دينية داميـة وخاصة بين البراهمة والبوذيين(٨٢) ٠ وقد كانت العناصر السياسية مقسمة

---

(٨١) عبد الله مبشر الطرازى : موسوعة التاريخ الاسلامى ، جـ ١ ، ص ٢٥١ ٠

(٨٢) اهم المذاهب التى كانت موجود بالسند قبل الفتح الاسلامى هى :

(ا) **البرهمية** : ليس لها مؤسس معروف وليس فيها توحيـد فى العقيدة ولا المذهب وتؤمن بفكرة التناسخ والحلول ٠

(ب) **البوذية** : تدور حول تطهير النفس من شهواتها وتحليها بالاخلاق الفاضلة وتنظيم الامور الاجتماعية والقضاء على نظام الطبقات ٠

(جـ) **الجينيـه** : وتمثل فى ابرز معتقداتها بقهر النفس واعتبـار الحياة لعنة يجب التخلص منها بنعمة الانتحار البطىء جوعا ليبلغ سر الوجـود ٠

انظر عبد الله الطرازى : الموسوعة ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ — ٣٢٤ — ٣٢٩ ٠

بناء على التقسيم الديني المذهبي فلم تكن هناك حرية لدين أو مذهب انما السيادة للغالب ، وظلت الحالة كهذه حتى جاء الاسلام فانقلبت الاحوال رأسا على عقب حيث انتهت الخلافات المذهبية والحروب الدينية وعاش أهل السند فى ظل الاسلام آمنين ترفرف فوقهم راية الحرية الدينية وأصبح لكل فرد مذهبه ودينه الذى يختاره حيث أن الاسلام لم يفرض على أحد اعتناقه انما أصبحت الدعوة له والدخول فيه عن طريق الاقناع والاقتناع .

وبناء على هذا الطرح الهادف فقد اتضح لأهل السند عظمة الاسلام وحسن مبادئه العظيمة التى تدعو الى الاخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية فانخرطوا فى سلكه والدخول فيه باعداد كبيرة وبدخول أهل السند فى الاسلام فقد تخلصوا من مساوىء دياناتهم السابقة وصلف رجالاتهم وظلمهم الذى أذاقهم مرارة الحياة ونكد العيش .

ومن هذا المنطلق فقد اهتم المسلمون منذ أول وهلة حين دخلوا بلاد السند — وخاصة فى عصر الدولة الاموية والعباسية — بالعلم ايمانا منهم بأنه هو الطريق الوحيد لنشر الدين الاسلامى وبه يتقدم الفكر وتنتشر الثقافة ، ولما كانت العلوم عند المسلمين تنقسم الى علوم نقلية وعقلية فقد اهتم المسلمون فى بلاد السند بنشر العلوم النقلية ، أما العلوم العقلية فقد كانت منتشرة فى بلاد السند فاستفاد المسلمون منها ثم أضافوا اليها من معارفهم العقلية الكثير وخاصة فى العصر العباسى الثانى(٨٣) .

وقد ظهر اهتمام المسلمين بنشر الثقافة العربية الاسلامية فى

---

(٨٣) تنقسم العلوم عند المسلمين الى قسمين : اللعوم النقلية وهى القرآن الكريم والحدبث الشريف والتفسير واللغة والادب والعلوم العقلية : كالطب والهندسة والرياضيات والكيمياء والفلك والفلسفة والتاريخ والجغرافيا وغيرها .

السند منذ دخولهم فيها فقد شيدوا المساجد فى كافة البلاد التى فتحوها وغدت هذه المساجد معاهد للعلم ومنارة للثقافة وأنشأوا بها المكتبات العامة لقاصدى المعرفة فى كافة العلوم يرتادها كل من تهفوا نفسه للمعرفة . وبجانب المساجد فقد أقيمت المجالس العلمية فى قصور الحكام والولاة والاعيان العرب وفى منازل العلماء المسلمين وشيد بعض القضاة والعلماء مدارس خاصة لنشر العلم والثقافة الاسلامية(٨٤) .

لقد ساعدت هذه الحركة العلمية فى السند ـ بعد الفتح الاسلامى ـ على ظهور العديد من العلماء السنود الذين تخصصوا فى العلوم الاسلامية المختلفة وخرجوا من بلادهم الى مختلف آفاق الدولة الاسلامية لينشروا ما تعلموه فى بلادهم ويتعلموا ما لم يتعلموه من علماء تلك البلاد فوصلوا الى مكة وبغداد ودمشق والمدينة ومصر وغيرها وساهموا مع علماء تلك البلاد فى بناء صرح الدولة الاسلامية .

ولم تمض فترة من الزمان الا وأصبح منهم علماء كبار فى تفسير القرآن الكريم وتدريس الحديث الشريف وعلم المغازى والأدب والشعر واللغة . كما أن تعلمهم تجاوز هذه المجالات وظهر على المسرح السياسى ـ لسعة علمهم وعلو مكانتهم عند المسلمين فصار منهم المستشار عند الخلفاء وقائد الجيش ووالى الاقليم ، وهذا كله بفضل الاسلام الذى بسط العدالة بين الناس دون النظر الى أعراقهم(٨٥) .

مما تجدر الاشارة اليه ان هذه الحركة الثقافية التى غرست جذورها فى بلاد السند كانت قد نمت وترعرعت على أيدى بعض المجاهدين من الصحابة والتابعين الذين كانوا فى جند الفاتحين لبلاد

---

(٨٤) عبد الله مبشر الطرازى ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .
(٨٥) عبد الله الطرازى : الموسوعة التاريخية ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

السند فقد ذكر ابن كثير(٨٦) حين تحدث عن فتوح محمد بن القاسم فقال : وكان في عسكرهم وجيوشهم الصالحون الاولياء من العلماء من كبار التابعين .

ونلاحظ أن الحملات التى كانت تخرج الى بلاد السند كان يقودها القضاة من أهل الصدق والدين من أمثال حكيم بن جبينة العبدى وسعيد بن أسلم الكلابى ومجاعة بن سعد التميمى ومحمد بن هارون النميرى وغير هؤلاء القضاة ممن كانوا علماء بالكتاب والسنة وأحكام الاسلام فكانوا بجانب ما يقومون به في اشاعة العدل ينشرون علوم الاسلام ومبادئه في بلاد السند .

ولم تمض فترة وجيزة حتى أصبحت هذه البلاد معقلا للرواة والمحدثين ، وقد أشار الى ذلك ياقوت الحموى حين ذكر لاهور فقال . خرج منها جماعة من أهل العلم .

ويظهر أن بلاد السند قد أصبحت مقصدا لارباب الحجا وطلاب العلم من كافة بلاد الاسلام وتحدثنا كتب التاريخ أن أبا العباس الأصم كان من الذين يتقاطر اليهم الباحثون عن العلوم وقد قال الحاكم أبو عبد الحافظ في ذلك : « فقد رأيت جماعة من أهل الاندلس والقيروان وبلاد المغرب على بابه وكذلك رأيت جماعة من أهل الحراز وأهل المشرق على بابه وكذلك رأيت في عرض الدنيا من أهل المنصورة وملتان وبلاد بست . وكذلك رأيت جماعة من أهل فارس وشيراز وخوزستان(٨٧) .

من الملاحظ أن الفتح الاسلامى لبلاد السند قد تسبب وبشكل ملحوظ في عملية مزج بين العرب الفاتحين وبين شعوب تلك البلاد ، شملت جميع مناحى الحياة .

---

(٨٦) البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٨٧ .

(٨٧) السمعانى : الانساب ، جـ ١ ، ص ٢٩١ .

(88) Havall : The History of Aryan Rule — in India. p. 151, London. N. 6.

ومن عوامل هذا الامتزاج وانتشار الاسلام ، دخول شعوب أهل السند فى الاسلام وامتزاجهم بالعرب كأنهم منهم بعد الفتح(٨٨) وقدموا للاسلام خدمات جليلة فى هذا المضمار .

وقد ساعد فى انتشار الاسلام والثقافة العربية الاسلامية فى بلاد السند الاختلاط فى السكن والعمل دون تفرقة فى العنصر أو الدين ، حيث اشترك أهل السند مع المسلمين فى تنمية الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية مما كان له أبلغ الأثر فى تحقيق عملية الامتزاج الذى ساعد الى حد كبير على انتشار الثقافة العربية الاسلامية فى بلاد السند .

ولعله من المناسب هنا أن نشير الى دور المساجد التى أقامها المسلمون فى بلاد السند فى انتشار الثقافة العربية الاسلامية ويتضح ذلك حين نرى أن المسلمين بمجرد فتح المدينة كانوا يقيمون المسجد فيها لاقامة الشعائر الدينية وتدريس العلوم الاسلامية(٨٩) .

وكان من أشهر هذه المساجد ما بناه محمد بن القاسم الثقفى مدينة الديبل سنة ٩٢ هـ(٩٠) والمسجد الذى بناه فى مدينة النيرون سنة ٩٢ هـ ثم المسجد الذى بناه عقب سقوط مدينة (أرور) بعد مقتل داهر ملك السند سنة ٩٣هـ وعين عليه اماما ومؤذنا وبعض العلماء وقاضيا على المدينة هو القاضى موسى بن يعقوب الثقفى الذى كان من أشهر علماء عصره ثم مسجد الملتان سنة ٩٤ هـ ومسجد مدينة الفتوح(٩١) .

وهكذا تتابعت عملية تشييد المساجد فى بلاد السند على عهد

---

(٨٩) كان يقوم بأمر هذه المساجد الائمة والعلماء والقضاة داعين للاسلام وناشرين لتعاليمه . انظر عبد الله مبشر الطرازى : موسوعة التاريخ الاسلامى ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ .

(٩٠) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤٣٧ .

(٩١) نفس المرجع السابق .

الدولة الأموية وكان من أهمها ذلك المسجد الذى بناه الحكم بن عوانه الكلبى بمدينة المحفوظة التى أسسها فى سنة ١١٢ هـ وكذلك مسجد مدينة المنصورة التى شيدها عمرو بن محمد بن القاسم واتخذها عاصمة للدولة الاسلامية فى بلاد السند سنة ١٢١ هـ والذى قام بتوسيعه فى العصر العباسى موسى بن كعب التميمى سنة ١٣٤ هـ(٩٢) .

مما لا شك فيه فان هذه المساجد قد لعبت أكبر الادوار فى مجال نشر الثقافة العربية الاسلامية فى بلاد السند كما كان للائمة والعلماء والقضاة القائمين بمهمة الدعوة الى الاسلام وتدريس علوم الدين واللغة أثرهم الذى لا يقدر فى هذا المجال .

ومن مظاهر انتشار الثقافة العربية الاسلامية فى بلاد السند تعلم أهل تلك البلاد للغة العربية التى هى لغة القرآن الكريم دستور المسلمين . ويرجع بعض الباحثين الفضل فى انتشار اللغة العربية بين شعوب تلك البلاد المفتوحة الى اخلاق المسلمين وحسن تعاملهم مع شعوب البلاد المفتوحة . زيادة على ما تمتعت به هذه اللغة من جزالة فى اللفظ ومرونة فى التعبير فقد تعلمها من السند العديد من العلماء مثل أبو معشر نجيح السندى (المتوفى سنة ١٧٠ هـ) صاحب كتاب فن المغازى وأبو عطاء أفلح بن يسار المتوفى فى سنة ١٨٠ هـ .

لقد كانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى دوائر الحكومة فى اقليم السند الأمر الذى شجع العديد من أبناء تلك البلاد — وخاصه الطبقة العالية المتعاونة مع الحكام المسلمين فى تعلم اللغة العربية وزيادة على ذلك فقد رغب فى تعلم اللغة العربية العديد من سكان السند بعد دخولهم فى الاسلام حتى يستطيعوا معرفة تعاليم الدين الاسلامى . ثم أن حركة الامتزاج والمشاركة اليومية بين المسلمين العرب وأهل السند — كالعمل فى الجيش والزراعة اقتضت تعلم أهل السند للغة

---

(٩٢) انظر تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ .

العربية حتى يتمكنوا من القيام بدورهم الفعال فى بناء الدولة مع العرب وبهذه الطرق وغيرها فقد انتشرت اللغة العربية بين السنود مجانب لهجاتهم المحلية التى كانت سائدة فى بلادهم قبل دخول الاسلام فى هذه البلاد .

ويظهر أن انتشار اللغة العربية قد ساعد فيه وبشكل فعال اهتمام علماء الدين واللغة العارفين باللغتين العربية والسندية فقد كانت لهم مجالس علمية لتدريس اللغة العربية والعلوم الاسلامية(٩٣) .

ولقد أشار الى اهتمام أهل السند باللغة العربية العديد من المؤرخين والرحالة المسلمين فها هو المسعودى يشير الى العلماء والخطباء الذين يبذلون جهودا مقدرة لخدمة اللغة العربية وأن أهل السند يقدسونها وكثير منهم يتحدثون بها(٩٤) .

ويضيف ابن حوقل الذى زار بلاد الملتان سنة ٣٤٠ هـ قائلا بأن اللغة المستعملة فى الدوائر الحكومية ودور القضاة والاسواق والتجارة كما كانت هى اللغة المفضلة عند الخواص . أما العلوم فى بلاد السند فقد كانوا يتكلمون باللغة السندية واللهجات المحلية الأخرى فى حياتهم العامة(٩٥) . يؤكد الاصطخرى توسع انتشار اللغة العربية فى السند بصورة واضحة حين يقول : وأهل الملتان وأكثريتهم من العرب والمسلمين والاقلية من الكفار يتحدثون بالعربية الى جانب لغتهم المحلية(٩٦) كل هذه اشارات تؤكد أن اللغة العربية أصبحت هى اللغة الرسمية فى بلاد السند طوال حكم الدولة الاسلامية .

---

(٩٣) انظر عبد الله الطرازى : المجلة العربية — انتشار اللغة العربية فى الهند وباكستان ، ص ٢٠ — ٢١ .
(٩٤) زار المسعودى بلاد السند سنة ٣٠٣ هـ ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .
(٩٥) المرجع السابق ، ص ٢٢ .
(٩٦) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

مساهمة أهل السند في نشر الثقافة العربية الاسلامية :

ما هو معروف أن حركة الترجمة من اليونانية قد بدأت في أواخر العصر الأموي الى اللغة العربية ولكنها نشطت بصورة ملحوظة في العصر العباسي حيث ترجمت آلاف من الكتب من اللغات اليونانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية وقد عرفت هذه بترجمة العلوم العقلية . مثل الرياضيات والطب والكيمياء والفلك وغيرها وقد كانت معرفة العرب في الاهتمام بهذه العلوم ووصول العديد من الوفود العلمية للاشتراك في تحقيق هذه الثروة العلمية وقد كان في مقدمة هؤلاء العلماء بعض علماء السند المتخصصين في هذه العلوم(٩٧) .

وكان الخليفة المنصور أول من فتح باب الصلات العلمية بين المسلمين والسنود وذلك عندما استقبل رجل هندوكي متخصص في الفلك والرياضيات يحمل كتبا كثيرة في الرياضيات من بينها كتاب « سدهانت » فأمر الخليفة بترجمته بمساعدة ابراهيم بن حبيب الفزاري فقد ساعد هذا الكتاب المسلمين في تحديد القبلة(٩٨) ، وكذلك لما مرض الرشيد جيء له بطبيب من الهند اسمه « مانك » وأسند اليه بجانب مهمة علاج الخليفة ترجمة عدد من الكتب الهندية الى العربية من بينها كتاب « سارسرس » لطبيب هندوكي ، وقد وسع دائرة هذه الصلات بين بلاد السند والدولة الاسلامية البرامكة حيث قاموا بترجمة العديد من الكتب من اللغة الهندية واللغات الاخرى الى العربية .

وأخذت هذه الصلات تزداد بين بلاد الهند والدولة الاسلامية — وبخاصة — في عهد المأمون الذى أقام دارا للترجمة أوكل أمرها للاكفاء والمختصين من الرجال أطلق عليها (بيت الحكمة) وقد كان

---

(٩٧) عبد الله الطرازي : المجلة العربية ، ص ٢٢ .

(٩٨) سيد احمد علي : الصلات بين العرب والهند ، مجلة المنهل ، ص ٣٦ .

لابى الريحان البيرونى القدح المعلى فى الدراسات الهندية العربية لمعرفته باللغة السنسكريتية السندية — علاوة على عيشه زمنا طويلا فى تلك البلاد . ثم تأليفه العديد من الكتب أشهرها « تحقيق ما للهند من مقولة » بمجهودات البيرونى فى مجال التأليف والترجمة فقد خدم الثقافة العربية الاسلامية وساعد فى انتشارها وأسدى الى الهنــود أيادى بيضاء بشرحه لهم الطرق المستقيمة فى الفلك والحساب(٩٩) .

أما فيما يتعلق بدور علماء السند فى نقل التراث النقلى فقد انقسموا قسمين أحدهما من أبناء الموالى الذين جلبهم المسلمون من الهند الى بلاد العرب والحقوهم بهم والقسم الآخر من أبنـاء المجاهدين والمسلمين الذين قدموا الى الهند وسكنوا فيها .

ومن هؤلاء العلماء مكحول بن عبد الله الامام السندى الشامى ويعد من التابعين فقد روى عن أنس بن مالك وأبى أمامة ووائلة وغيرهم ، وأيضا أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندى المـدنى وهو من اتباع التابعين ويعد من الفقهاء الذين لهم باع طويل فى العلم ودراية بالمغازى . وكذلك أبو عطاء السندى الشاعر المشهور وهو مولى أسد ثم مولى عمرو بن السماك واسمه أفلح بن مرزوق وهناك الربيع بن صبيح السعدى وهو من العلماء الاجلاء الذين ذهبوا الى بلاد السند فساهموا فى نشر الثقافة العربية الاسلامية .

وعليه نكتفى بذكر هذه الكوكبة من العلماء الذين أثروا الحياة الثقافية الاسلامية من أهل السند وغيرهم لأن حركة انتشار الثقافة العربية الاسلامية فى تلك البلاد قد شارك فيها العديد من العلماء الاجلاء سواء من أهل السند أو من المسلمين الذين ذهبوا اليها فى بنائها دافعهم الى ذلك الايمان بالله تعالى وحبهم للاسلام وأهله ، زيادة على تشجيع ولاة السند لهذه الحركة العلمية الناشئة فى كافة عصور الدولة الاسلامية وخاصة فى العصر العباسى .

---

(٩٩) أحمد على : مجلة المنهل ، ص ٣٨ .

وفى ختام هذا البحث المتواضع أتقدم بوافر الشكر والعرفان لكلية الآداب بجامعة القاهرة وخاصة قسم التاريخ فيها لاتاحة هذه الفرصة النادرة لى بالمشاركة فى هذا السمنار .. ولا يفوتنى أن أشير الى أن هذا الموضوع يحتاج الى دراسة أعمق وجهد أكبر وذلك نسبة لاهميته التاريخية ولاتساع أبعاده — فهذا الجهد الذى بذلته فيه هو جهد المقل فان وفقت فيه فهذا من عند الله وان أخفقت فمن عندى والله من وراء القصد .

CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS



The Egyptian Historian

REFEREED HISTORICAL STUDIES & RESEARCHES

4

JULY
1989

ISSUED BY
HISTORY DEPARTMENT